# في تعريب التعليم العالي الجامعي

للدكتور اسحاق الحسيني

لم تعن السلطة — في أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين — بالتعليم العالي، كما هو شأن السلطة في مصر وجميع بلاد المغرب العربي كان التعليم أشبه بهرم عريض القاعدة دقيق القمة فلم يوجد في فلسطين سوى معهد عربي واحد اسمه (الكلية العربية) في القدس، لتخريج معلمين للصفوف الابتدائية وفي أواخر عهد الانتداب أصبح التعليم ثانويا كاملا في عدد محدود من المدارس أما سائر المدن الصغيرة والقرى، فوقف التعليم فيها عند المرحلة الابتدائية

ووجد إلى جانب المدارس الحكومية مدارس أهلية معظمها عربية، تدرس بالإنجليزية أو الفرنسية تقف كلها إلى حد الشهادة الثانوية المعروفة «بالمتريك»:

ووجدت مدرستان وطنيتان هما (روضة المعارف) في القدس تحت رعاية المجلس الإسلامي الأعلى. ومدرسة (النجاح) العلمية والتاريخية.

في نابلس وكلتاهما تاريخ وأنشأت الثانية فرعا لتدريب المعلمين في أواخر أيامها

كانت لغة التدريس في المدارس الحكومية هي العربية. أما المدارس الأهلية فكانت لغة التدريس فيها لغة غربية.

ولكن الإسرائيليين استولوا على الحكومة منذ البداية ففي سنة ١٩١٨ أنشأوا (الجامعة العبرية) في القدس التي ظلت تنمو وتتقدم حتى شملت جميع الكليات المتخصصة من طب وصيدلة وهندسة وزراعة وآداب وعلوم وما إلى ذلك. وأنشأت إلى جانبها معاهد ومدارس ابتدائية وثانوية. لغة التدريس فيها جميعا اللغة العبرية. سواء أكانت جامعية أم ثانوية. ثم تأسست بعد ذلك جامعة حيفا وجامعة تل أبيب وجامعة النقب وجامعة بار ايلان. مضافا إليها عدد من مراكز الأبحاث

---

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والخمسين.

وحدت بعد الاحتلال الإسرائيلى لما تبقّى من فلسطين المعروف بالضفة والقطاع سنة ١٩٦٧ تطور مدهش فى التعليم العالى لم تعرف البلاد له مثيلا ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

أولا : غريزة الدفاع عن النفس إزاء التحدى السياسى والحضارى الذى لمسه العرب وواجههم فى مختلف ميادين الحياة .

ثانيا صعوبة السفر إلى البلاد العربيه والجامعات الغربية وكلفتها العاليه .

ثالثا : ازدياد الطلب على المتعلمين فى دول الخليج العربى والسعودية وليبيا والرواتب المغرية التى تدفعها .

رابعا : النمو الطبيعى لمعاهد سابقة حباها دعم مادى من الخارج .

والجامعتان الرائدتان هما ( جامعة النجاح ) فى نابلس ( وجامعة بير زيت ) فى بلدة بير زيت فى قضاء رام الله

أسست ( النجاح ) سنة ١٩١٨ مدرسة ابتدائية ثم أضحت ثانوية كاملة سنة ١٩٤١ ، وكلية تضم معهدا للمعلمين سنة ١٩٦٥ ، وجامعة ذات خمس كليات ( آداب وعلوم ، واقتصاد ، وعلوم إدارية وتربية ، وهندسة ) سنة ١٩٧٧ وعدد طلابها سنة ٨٢/٨٣ : ٢٣٩١ طالبا .

وأسست مدرسة ( بير زيت ) سنة ١٩٢٤ مدرسة ابتدائية ثم تطورت إلى مدرسة ثانوية فكلية متوسطة فجامعة ذات أربع كليات ( آداب ، وعلوم ، وتجارة ، وهندسه ) سنة ١٩٧٢ ، وعدد طلابها من التاريخ نفسه ٢٠٣٧ طالبا .

وتوالت بعد ذلك الجامعات والمعاهد العالية فأنشأ سنة ١٩٧٣ إخوة دى لاسال من بيت لحم ، والقاصد الرسولى فى القدس ، والسدة البابوية ( جامعة بيت لحم ) ذات أربع كليات ( آداب وعلوم وإدارة أعمال وتمريض ) مضافا إليها دراسة متوسطة فى الفنادق والإرشاد الصحى ورياض الأطفال وعدد طلابها من التاريخ نفسه ١٢١٦ طالبا .

وافتتحت فى غزة سنة ١٩٧٨ ( جامعة غزة الإسلامية ) امتدادا لمعهد فلسطين الدينى ( الأزهر ) ذات ست كليات ( الشريعة والقانون ، الدعوة وأصول الدين ، اللغة العربية ، العربية ، التربية ، التجارة ، العلوم ) . وعدد طلابها فى التاريخ نفسه ٢٣٩٧ طالبا .

وتأسست فى مدينة الخليل سنة ١٩٨٠ ( جامعه الخليل الإسلامية ) امتدادا لكلية الشريعة المؤسسة سنة ١٩٧١ ، ذات كليتين ( كلية الشريعة وكلية الآداب ) وتخطط اليوم لإنشاء كلية ثالثة للزراعة وعدد طلابها من التاريخ نفسه ١٦٥٠ طالبا .

ومن سنة ١٩٨٣ـ ١٩٨٤ اتحدت أربع كليات من ضواحى القدس مكونة ( جامعة القدس ) والكليات هى :

أولا · كلية الدعوة وأصول الدين فى بيت حنينا ـ من ضواحى القدس ـ أنشئت سنة ١٩٧٨ وتضم فرعين ،هما : الدعوة وأصول الدين واللغة العربية ؛

ثانيا : كلية العلوم والتكنولوجيا فى قرية أبو ديس ( قضاء القدس ) أنشئت سنة ١٩٨١ امتدادا للمعهد العلمى العربى ،الذى تأسس قبيل الاحتـــلال ، ويضم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الحياتية ، الحاسب الالكترونى والتكنولوجيا الكيميائية والطبية والإلكترونية

ثالثا : الكليات العربية للعلوم الطبيه تأسست سنة ١٩٧٩ وتضم التمريض والطب المخبرى والصحة العامه .

رابعا . كلية الآداب للبنات فى القدس تأسست سنة ١٩٨٢ امتدادا لمعهد الخدمه الاجتماعية ومؤسسه دار الطفل العربى التى قامت سنة ١٩٤٨ لإيواء أطفال مذبحة دير ياسين وتضم اللغة العربية واللغة الإنجليزية والخدمه الاجتماعية وتسعى لإنشاء أقسام أخرى حسب حاجة البلاد .

وعدد طلاب جامعة القدس بكلياتها الأربع ٩٧٩ طالبا وطالبة .

وتوحد إلى جانب هذه الجامعات ثلاثة معاهد ، هى . المعهد العمى الهندسى (البوليتكنيك) فى مدينة الخليل ، تأسس سنة ١٩٧٨ ويشمل الهندسة المدنية والمعمارية والميـــكانيكيه والكهربائية ، والمعهد الشرعى فى القدس تأسس سنة ١٩٧٥ فرعا من فروع المعهد الشرعى فى عمان ، والمعهد الشرعى فى قلقيلية بطير المعهد السابق تأسس سنة ١٩٧٨

والتعليم فى جميع الجامعات والمعاهد مشترك للذكور والإناث ما عدا ( كلية الآداب للبنات ) .

لا شك فى أن جميع هذه الكليات والمعاهد تتجه اتجاها قوميا لأسباب طبيعية لا تخفى على أحد ( فجامعة بير زيت ) التى تميل إلى محاكاة الجامعات العربية أكثر من غيرها ، نصت فى مقدمة دليلها العام لسنة ١٩٨٤ على ما يلى : « تهدف الجامعة إلى تهيئة الطلبة ليكونوا مواطنين صالحين فعالين فى المجتمع ، قادرين على تحمل المسئوليه ومواجهة تحديات المستقبل ، ولذلك فانها تشجع الطلبة على الإبداع والإتقان فى العمل . كما أنها تحرص على تنشئة صلتهم بمجتمعهم وتنمية روح التعاون فيهم ، وتعمل الجامعة على تنشئه الطلبة فى جو من التراث العربى الوطنى » .

ورغم ذلك فإنها تدرس جميع مواد الدراسه ـ المساقات ـ باللغة الإنجليزيه ودائرة اللغة الإنجليزية هى أوسع الدوائر

فيها، إذ تضم ثلاثة وأربعين معلما وربعهم تقريبا غير عرب . فى حين لا يتجاوز عدد المعلمين فى دائرة اللغة العربية اثنى عشر معلما. وقيل إن أحد أساتذه التاريخ فيها أراد أن يدرس التاريخ بالعربيه فلم تستجب الجامعه .

ولا تنفرد جامعة بير زيت بالتدريس باللغه الإنجليزيه، فقد أراد أول رئيس لكليه العلوم والتكنولوجيا فى أبو ديس أن يعرب التعليم فلم يوفق. إذ ما كاد يترك الكليه ويتولى رئيس آخر حتى انتهى التعريب وبدئ بالتدريس باللغه الإنجليزية ، ولا أعتقد أن ذلك راجع إلى اتجاه قومى أو غير قومى بل إلى أسباب علمية فنية .

والحق أن لأنصار « التغريب »—التعليم باللغة عربية - حججا قوية رغم أن الجامعات العربيه ترى أن الجامعات العبرية كلها تدرس بالعبرية لجميع طلابها، سواء أكانوا يهودا أم عربا .

وما الحجج التى يسوقها أنصار التعريب ؟

أولا : إن العلوم تتطور فى الغرب بسرعه فائقه ولا يمكن للترجمة أن تلحق بالتطور . لا سيما فى العلوم والتكنولوجيا .

ثانيا إن جميع المصادر تكاد أن تكون كلها غربية .

ثالثا إن الأساتذة الغربيين الدائرين لا يعرفون العربيه

رابعا إن الطلبة الذين يحصلون على الشهادة الجامعيه الأولى — الليسانس — يتمون دراستهم فى الجامعات الغربيه لفقدان الدراسة العليا فى البلاد .

خامسا . إن التعريب وسيله لتحديث العقلية العربيه فى عصر التحدى الداخلى والخارجى .

سادسا إن معظم الأساتذه تخرجوا فى جامعات عربيه وألفوا الدرس باللغة الغربيه ، لا بد من وقت لتروض ألسنتهم على إلقاء المحاضرات بالعربية هذا إن تيسرت لهم المصطلحات العربيه .

أما أنصار — التعريب — وهم إلى الآن قله — فيبدون الحجج التاليه :

أولا إن لغه الأم هى اللغة المثلى لاستيعاب المعارف .

ثانيا إن التغريب قد يؤدى فى بعض الحالات على الأقل إلى العربه عن المجتمع وفقدان التلاحم مع الشعب الذى يعانى من الأميه لغة وثقافة .

ثالثا . إن التعريب وسيله فعاله لربط الحاضر بالماضى وبعث التراث العلمى الذى بلغ مرتبه عالية فى تاريخ العرب .

رابعا : إن الدراسة الثانويه فى معظم المدارس باللغه العربية ، والتغريب يحدث انكسارا حادا فى الاتجاه التعليمى .

خامسا . إن اللغه العربية استطاعت أن تتجاوز تلك العقبات فى مرحله قصيره وأن تصبح لغة العلم والتعليم الوحيدة رغم ما بينها وبين العربيه من فارق إذ بعثت الأولى من رقاد دام قرونا كثيرة ، ولم يحدث للعربية مثل هذا الرقاد ، فقد كانت لغه العلم شرقا وغربا فى القرون الوسطى ثم تراخت فى بعض العصور فقط .

والحق أن لكل حجته القويه ويبدو أن هناك حلا وسطا يرى ، أن التعريب يمكن أن يمر فى ثلاث مراحل الأولى ان تكون اللغه العربيه لغة تدريس العلوم النظرية وجيه مادة قصيرة من الزمن ولكن يجب أن يكون تدريس معظم العلوم الإنسانيه باللغه العربيه وحدها ، وفى المرحلة الثانية يدرس باللغتين أى أن يستعين المعلم بالكتاب العربى والأدوات العربيه ويشرح بالعربيه ، كما هو واقع فى اليابان مثلا ، وفى المرحله الثالثة يكون التدريس بالعربية بعد أن يتوافر الأساتذة الذين درسوا العربيه ، وألفوا بها ووقفوا على مصطلحات العلوم ؛ أى بعد أن يتكون جيل جديد يقف على قدم المساواه مع الأساتذة والباحثين الغربيين . وهذه المرحلة الثالثة مرحلة طبيعيه تتشرئب إليها الأعناق وتتواءم مع طموحنا القومى ، ونحن على ما يبدو سائرون فى هذا الاتجاه بخطى ثابته وقد قطعت سوريا شوطا كبيرا فى هذا المضمار ، وتلتها مصر العربيه ، ومن الواضح أن المصلحه تقضى أن لا يضحى العلم فى سبيل اللغه وأن لا تضحى اللغه فى سبيل العلم وحاصه اللغه العربيه ، لأنها لغه دينا وقوميتنا وتراثنا وأقوى رابطه يفيئ لنا فى عصر التحدى الخطير .

**اسحق موسى الحسينى**
عضو المجمع من فلسطين